سلسلة فهم أقوال أهل النَّقد (١).

كانَ الإمامُ الشـافعيُّ إذا اسـتغرب شـيئاً قال: «هذا من قِياس شعبة»!

روى ابن أبي حاتم في «آداب الشـافعي ومناقبه» (ص: ١٦٠) قال: حدَّثنا الرَّبِيعُ بنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: "كَانَ الشَّـافِعِيُّ إِذَا قَاسَ إِنْسَـانٌ فَأَخْطَأَ، قَالَ: هَذَا قِيَاسُ شُعْبَةَ".

قَالَ الشَّـافِعِيُّ: "وَكَانَ شُـعْبَةُ إِذَا أَتَاهُ الرَّجُلُ يَسْـأَلُهُ عَنِ المَسْـأَلَةِ، سَـأَلَهُ عَنِ اسْـمِهِ وَمَوْضِـعِهِ وَصِـنَاعَتِهِ، ثُمَّ يُجِيبُهُ فِي مَسْـأَلَتِهِ، ويَجِيءُ أَصْـحَابَهُ فَيُلْقِيهَا عَلَى أَصْـحَابِهِ، فَإِنْ أَصَـابَ فَذَاكَ، وَإِنْ أَخْطَأَ ذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا هَذَا، الَّذِي أَفْتَيْتُكَ لَيْسَ كَمَا أَفْتَيْتُكَ، الأَمْرُ كَذَا وَكَذَا - أَوْ كَمَا قَالَ".

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا الرَّبِيعُ بِأَشْـبَعَ مِنْ هَذَا الكَلامِ، قَالَ: سَـمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: "كَانَ الرَّجُلُ إِذَا سَأَلَ شُعْبَةَ عَنْ مَسْأَلَةٍ سَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْـمِ أَبِيهِ، وَصِـنَاعَتِهِ وَمَنْزِلِهِ، ثُمَّ يُفْتِيهِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ يَجِيءُ إِلَى أَصْـحَابِهِ، فَيُذَاكِرُهُمْ بِالمَسْـأَلَةِ، فَيَقُولُونَ: هُوَ كَذَا وَكَذَا خِلافُ مَا أَفْتَى، فَيَقُولُ: مِنْ أَيْنَ قُلْتُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: أَلَيْسَ حُدِّثْنَا بِكَذَا وَكَذَا؟! فَيَقُولُ: حُدِّثْنَا، فَيَأْخُذُ بِيَدِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَيَذْهَبُ إِلَى الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَا أَفْتَيْتُكَ، هُوَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا".

قَالَ: "ثُمَّ لا يَمْنَعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُسْتَفْتَى فِي ذَلِكَ، فَيُفْتِيَ فِيهِ بِذَلِكَ".

قلت: كأن الشـــافعي أراد بيان عدم تمكن شـــعبة في الفقه، فقوله: "من قياس شـعبة" = أي كما كان شـعبة يُسـتفتى فيُفتي بأمور غريبة، وكان يُفتي ببعض الفتاوى بالقياس فيُخطئ.

وهذا يدلّ على أن شعبة كان له حظ من الفقه وإن لم يكن مُتمكناً فيه مثل أقرانه كالثوري، ومذاكرته للمسائل التي يفتي فيها مع أصحابه لمعرفة الصواب يدلّ على ورعه، وكذا سـؤال المُسـتفتي عن اسـمه ومنزله حتى إذا تبيّن له خطأ فتوته ذهب إلى السائل وأفتاه بالصواب.

وقد استدل بعضـهم بهذا بأن شـعبة كان يضـرب به المثل بضـعفه في القياس! وهذا فيه نظر!

وقال بعضـهم: "هذا كناية عن تشـدد مقاييس شـعبة - يعني في الرجال"! وهذا ليس بصـحيح، فلو كان هذا هو المقصـود لما صَـلُحَ أن يذكر أخطاء شـعبة في القياس! ولكان لازم ذلك ذمّ كلام شعبة في الرّجال! والشافعي يمدحه أصلاً في ذلك.

قَالَ حَرْمَلَةُ بنُ يَحْيَى: سَـمِعْتُ الشَّـافِعِيَّ، يَقُولُ: "لَوْلا شُـعْبَةُ مَا عُرِفَ الحَدِيثُ بِـالعِرَاقِ، كَـانَ يَجِيءُ إِلَى الرَّجُـلِ، فَيَقُولُ: لا تُحَـدِّثْ، وَإِلا اسْـــتَعْدَيْتُ عَلَيْكَ السُّلْطَانَ".

والله أعلم.